

تصنيف الناس بين الظن واليقين

قوله تعالى: (الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ)، يعني أنهم يعتقدون بحقيقة حصول ذلك اعتقاداً جازماً لا شك فيه، وقد أوصلهم ذلك الاعتقاد إلى ما وصلوا إليه من الخشوع في الصلاة، وإحسان العبادة.

- قول الله عز وجل: (يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ)، جاء معنى الظن هنا بمعنى الشك والتوهم؛ فقد نهى الله سبحانه وتعالى الناس جميعاً في هذه الآية عن أن يظنوا به غير الحق، وبين أن ظن غير الحق بالله صفة اتصف بها أهل الجاهلية، وأن من يكون ذلك حاله فإنه يتصف بصفات أهل الجاهلية.

اليقين في القرآن الكريم

ذكر اليقين في كتاب الله -سبحانه وتعالى- في العديد من المواضع، وأشارت تلك المواضع في غالبيتها إلى أفضلية اليقين وأهله، ومكانته عند الله سبحانه وتعالى، وكيف يكون أجراً من يتصف بتلك الصفة ويتحلى بها يوم القيامة، ومما جاء في اليقين في كتاب الله ما يلي:

- قال تعالى: (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ - وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ - أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)، يتصف أهل اليقين في هذه الآية بمجموعة من الصفات الحميدة التي تميزهم عن غيرهم من الناس، ويتقربون بها من الله سبحانه وتعالى؛ فهم يؤمنون بكل ما جاء به الوحى من الأمور الغيبية إيماناً بصدق ما جاء به المصطفى صلى الله عليه وسلم.

- قال الله سبحانه وتعالى: (وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُذْهَبُونَ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ وَفَوْرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَخَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْتَقِبُونَ)، [١٩] فأهل اليقين يتدبرون في آيات الله التي وضعها في خلقه المتمثل بالطبيعة، والآيات الموجودة في خلق الناس، ويصدقون أن كل خير إنما هو أت من عند الله، وأن كل بلاء يصيب العبد فإنما أصابه ليكون فيه اختبار صبره وكفّره.

الظن واليقين في السنة النبوية

مثملاً ذكر حسن الظن بالله واليقين به في كتاب الله، فقد ذكر ذلك أيضاً في سنته رسول الله المصطفى -صلى الله عليه وسلم- في مواضع كثيرة، ومما جاء في الظن واليقين في الحديث الشريف ما يأتي:

- ورر عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قوله: (قال الله جل وعلا: أنا عند ظن عبدي بي إن ظن خيراً وإن ظن شراً)، فألعب المؤمن بظن بربه خيراً ويتوكل عليه، ثم يقوم بالأعمال المطلوبة منه ليقينه أن الله سيبيئه عليها، ويتعد عن كل ما حرّمه الله لظنه أن الله سيبدله ويعوضه عنها في الجنة؛ فاليقين ظاهر عند العبد المؤمن في الإقبال على الآخرة بالعمل الصالح، والبعد عن كل ما حرّمه الله.

- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (حسن الظن من حسن العبادة)، وفيه هذا الحديث يظهر أن حسن الظن نوع من عبادة الله، فكما يتقرب المسلم من الله بالأعمال الصالحة فإنه يتقرب منه كذلك بحسن الظن به واليقين بأن كل ما يصيبه إنما هو من الله سبحانه وتعالى، وأنه سيجزيه لقاء صبره، ويشبه على ذلك إما في الجنة أو الدنيا.

- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله يقول: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا مع إذا دعاني).

- عن جابر بن عبد الله قال: (سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قبل موته بثلاثة أيام يقول: (لا يموتن أحدكم إلا وهو بحسن الظن بالله عز وجل).



الكريم في العديد من المواضع، منها على سبيل المثال ما يأتي:

- قول الله سبحانه وتعالى: (فَأَمَّا مَنِ أَوْتِي كِتَابَهُ بِعَمَلٍ فَلْيَقُولْ هَذَا وَمِثْلَهُ نَقُصُّهُ أَوْ كِتَابِهِ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قَطُوفُهَا دَائِمَةٌ كَلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ)، وورد معنى الظن هنا مرادفاً للاعتقاد الجازم لا بمعنى الشك والتوهم؛ فمعنى قول الله سبحانه وتعالى: (إني ظننت أني ملأق حسابية)؛ أي أن المؤمن يحمل كتابه بيمينه، ثم يقول: لقد اعتقدت يقيناً أن الله سبحانه سبني على ما قدمت وعملت، فلجأت إلى حسن الظن به مع العمل الصالح، فنجى العبد المؤمن من عذاب الله، ووصل إلى رضوانه بحسن يقينه به وبعدة عن الظن السيئ به، وإعداده لذلك اليوم بحسن العمل.

- قول الله عز وجل: (الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنُّ السُّوءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ)، جاء الظن هنا بمعنى الشك والتوهم الناتج عن ضعف الإيمان؛ وقد أشارت الآية إلى عقوبة من يشك في الله سبحانه وتعالى، حيث يتعرض لعقوبة الله وسخطه؛ لظنه بالله غير الحق.

- قال تعالى: (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ)، معنى الظن هنا هو الاعتقاد الجازم الذي لا شك فيه؛ فالله -سبحانه وتعالى- يصف عباده الذين يحسنون الظن به بصفات تميزهم عن غيرهم من الناس؛ فهم الأقدر على الصبر على الشدائد، والخشوع في الصلاة، فيؤدونها بسكينة وطمأنينة، أما

فيزيد في العصيان، ويوغل في المعاصي أكثر وأكثر.

- يلجأ العبد المؤمن بربه إلى الإقبال على الله بالعمل الصالح، خصوصاً إذا شعى بأنه ابتعد عن الله، بينما يتعد الذي يظن بالله ظن السوء عن الصالح من العمل؛ لظنه أن الله لن يقبل عبادته وطاعته مهما قدم وعمل. يدرك العبد المؤمن بالله أن خزائن السماوات والأرض بيد الله لا بيد أحد سواه، وأنه هو الوحيد المتصرف فيها بالخلق، والإيجاد، والإعطاء.

- يصبر العبد المؤمن بالله على ما يصيبه من البلاء والمحن، ويحتسب الأجر عند الله سبحانه وتعالى؛ حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عجبا لأمر المؤمن! إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سراء شبك، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له)، بينما يجزع العبد الذي يظن بالله ظن السوء؛ لاعتقاده أن ما يصيبه هو عقوبة من الله على تقصيره.

وأظهرت النصوص القرآنية منزلة الظن واليقين بالله في الكثير من المواضع، مما يدل على مكانة إحسان الظن بالله وأهميته، وفضل اليقين عند الله سبحانه وتعالى، كما أظهرت تلك النصوص أهمية توجه العباد إلى الله تعالى، وأنهم يفاضلون في درجات ظنهم ويقينهم بالله، وذلك ما يزيد قربهم من الله أو بعدهم عنه، وبيان بعض تلك النصوص فيما يأتي:

الظن في القرآن الكريم

جاء ذكر تفاضل الناس بين الظن واليقين في القرآن

لا يكون التقرب إلى الله -سبحانه وتعالى- بالأمور العملية فقط، بل قد يكون بأمور أخرى قلبية أو عقلية، ومن تلك الأمور إحسان الظن بالله، والاعتقاد بأن الله سبحانه وتعالى أعد لعباده من الخير ما لا يسعهم تصوّره إذا ما التزموا بأوامره وانتهوا عن نواهيه، وبناء على ذلك فإن الناس يتفاوتون في القرب من الله والبعد عنه كل حسب إحسان ظنه بالله أو إساءة ظنه به.

وقد ثبت في الصحيح أنه كلما ازداد حُسن ظن العبد بالله ازداد قُرباً منه، من ذلك ما جاء في حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم؛ حيث قال: (خَرَجْتُ عَائِدًا لِزَيْدِ بْنِ الْأَسَدِ، فَلَقِيتُ وَائِلَةَ بِنِ الْأَسَقِ وَهُوَ يُرِيدُ عِبَادَتَهُ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَى وَائِلَةَ بَسَطَ يَدَهُ وَجَعَلَ يُبَشِّرُ إِلَيْهِ، فَأَقْبَلَ وَائِلَةَ حَتَّى جَلَسَ، فَأَخَذَ زَيْدٌ بِكَفِّي وَائِلَةَ فَجَعَلَهُمَا عَلَى وَجْهِهِ، فَقَالَ لَهُ وَائِلَةُ: كَيْفَ ظَنُّكَ بِاللَّهِ؟ قَالَ: ظَنِّي بِاللَّهِ -وَاللَّهِ- حَسَنٌ، قَالَ: فَأُبَشِّرْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: قَالَ اللَّهُ جَل وَعَلَا: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي إِنْ ظَنَّ خَيْرًا، وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا).

معنى الظن

الظن لغةً: هو الاعتقاد الرَّاجح مع احتمال النَّقيض، وتُستخدم لفظة الظن في الإشارة إلى اليقين والشك، ويُقصد بحُسن الظن بالله اصطلاحاً: أن يعلم العبد أن الذي يتتليه ويختبره بالمرض والأوجاع هو الله سبحانه وتعالى، وأن الله -عز وجل- لم يبتلْ ليهلكه أو يُعذبه أو يضره، وإنما ابتلاه مثل غيره من الخلق؛ ليمتحنهم، ويعلم من يصبر منهم ممّن يجزع، ويرى تطبيقهم العملي للإيمان بالله وإحسان التوجه إليه في وقت الشدة كما في وقت الرِّخاء، وليسمع دُعاءهم إذا أصابهم البلاء، ويرى إنكسارهم له لا لسواه؛ حتّى يرفع ما بهم من أدنى، وقد بين الله -سبحانه وتعالى- أنه لا يمكن أن يتجاوز ذلك الاختبار إلا من صلح عمله، وصدق إيمانه.

معنى اليقين

اليقين: هو العلم بأن حكم الله خير الأحكام، وأفضلها، وأتمها، وأعدلها، وأن الواجب على كل مكلف الانقياد له، مع الرضا والتسليم التام بكل الحوادث التي تمّ بالمسلم، وذلك تصديقاً لقول الله سبحانه وتعالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ). واليقين أيضاً: التصديق الجازم الذي تستقرّ معه النفس وتطمئن.

تصنيف الناس بين الظن واليقين

يمكن التمييز بين الظن واليقين عند الناس بعدة أمور؛ فالعبد المؤمن يكون مُقبلاً على الآخرة بالعمل الصالح؛ لعلمه اليقين أن الله سيجزيه لقاء عمله، بينما يسعى الذي يظن بالله ظن السوء إلى إدراك الدنيا بكل ما أوتي من طاقة؛ لأنه يظن أن الله لن يحاسبه على ما قدم في الدنيا من الأعمال فيُهمّل الآخرة، وممّا يوضح الفرق بين الناس من حيث الظن أو اليقين ما يأتي:

- يسعى العبد المؤمن بالله إلى فهم معاني أسماء الله الحُسنى، والإلام بكل ما يحيط بها من معان جليلة تزيده يقيناً بالله، بينما يُهمّل السذي يظن بالله ظن السوء تلك الأسماء والصفات، فيبقى بعيداً عن الله، مُدبراً عن الآخرة، مُقبلاً على الدنيا.

- يجتنب العبد المؤمن بالله المنكرات والآثام والمعاصي جميعها، وإذا اقترّف ذنباً أو قصر بحق الله فإنه يلجأ إلى التوبة عن تلك الذنوب والخطايا، بينما يوغل العبد الذي يظن بالله سوءاً في المعاصي والآثام، ولا تردعه ذنوبه ومعاصيه عن ذلك، وكلما أذنب ظن أن الله لن يغفر له،

سر بسم الله الرحمن الرحيم

- الوجه الرابع: ترك قراءتها بالكلية.

أما بالنسبة للوجه الممنوع في قراءة البسملة في القرآن الكريم فهو وجه جمعها بأخر السورة التي تسبقها، وفصلها عن أول السورة التي تليها، لما قال العلماء أنه يمكن للمستمع الضالحة فإنه يتقرب منه كذلك بحسن الظن به واليقين بها؛ وذلك يؤدي إلى تعطيل المعنى المراد من الإتيان بها، فمعناها متعلق بالبداية بالقراءة والشرع فيها، وليس ختمها والانتهاء منها.

الآراء في اعتبار البسملة من القرآن

اتَّفَقَ أَثَمَةُ القراءات وكذلك الصحابة رضوان الله عليهم على إثبات قراءة البسملة في مطلع السور القرآنية جميعها عدا التوبة، حيث اتفقوا على أن سورة التوبة لا تستفتح بالبسملة، واتفقوا كذلك على أنها آية في سورة النمل، وأنها ثابتة خطأ في أوائل السور كلها المصحف عدا سورة التوبة أيضاً، إلا أنهم اختلفوا في غير ذلك؛ فذهب بعض العلماء إلى أن البسملة آية من كل سورة في القرآن الكريم، وذهب بعضهم إلى أنها آية في سورة الفاتحة فقط، وذهب آخرون إلى القول بأنها ليست آية مطلقاً، وقال بعضهم هي آية في بعض القراءات دون قراءات أخرى.

وأجمع العلماء على أن مثبت البسملة في القرآن الكريم ونافيها لا يكفر منهما أحد؛ لأن العلماء اختلفوا في ذلك، بخلاف ما لو أثبت إنسان حرفاً أو كلمة في القرآن الكريم لم يقل به أحد غيره، أو نفى حرفاً أجمع على ثبوتها العلماء، فهذا يُكفر بالإجماع، وقد جعل عبثهم الاختلاف في اعتبار البسملة آية من القرآن أو عدم ذلك كاختلاف أثمة القراءات في ثبوت بعض الحروف أو الكلمات في القرآن الكريم، فتجد بعض القراءات تثبت حرفاً أو كلمة تنفيها قراءات أخرى، ولا غرابة في ذلك.



السكر والتيمّن؛ ففيها للإنسان البركة والحفظ والرعاية.

أوجه قراءة البسملة في القرآن الكريم

جعل العلماء لقراءة البسملة في القرآن الكريم خمسة أوجه؛ أجازوا قراءة أربعة منها ومنعوا واحدة، وفيما يأتي بيان الأوجه الجائزة لقراءتها:

- الوجه الأول: الفصل بينها وبين آخر السورة التي تسبقها، وبينها وبين أول السورة التي تليها.

- الوجه الثاني: الجمع بينها وبين آخر السورة التي تسبقها، وبينها وبين أول السورة التي تليها.

- الوجه الثالث: فصلها عن آخر السورة التي تسبقها، وجمعها بأول السورة التي تليها.

2 - قراءة القرآن الكريم، أو الحديث الشريف، أو في بداية مجالس الذكر.

- يسّن للمسلم أن يستفتح بها كثيراً من المباحات، منها ما يأتي:

1 - الأكل، فقد قال صلى الله عليه وسلم: (يا غلام، سَمِّ اللَّهَ، وكل بيمينك، وكل ممّا يليك).

2 - الجماع، فقد قال صلى الله عليه وسلم: (لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله، فقال: باسم الله؛ اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقنا، فإنه إن يُقَدَّرَ بينهما ولدٌ في ذلك، لم يضره شيطان أبداً).

الشرعت في كل أحوال الإنسان من قيام، وقعود، وأكل، وقراءة قرآن، وغيره، وذلك ليعول الإنسان ذكراً لا تزال تعالي، طالبا للإخلاص له في كل أعماله، وليطلب بها

اسم الله الرحمن، وفي باقي الأجزاء التسعة والتسعين اسم الله الرحيم.

سَرِّ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لقول بِسْمِ اللَّهِ الرحمن الرحيم فضائل عظيمة وأسرار جليلة، منها ما يأتي:

- افتتح الله سبحانه وتعالى أفضل كتاب بها؛ وهو القرآن الكريم.

- في قولها ستر للعورات عن نظر الجن؛ قال صلى الله عليه وسلم: (ستر ما بين أعين الجن وعورات بني آدم، إذا دخل أحدكم الخلاء أن يقول: بسم الله).

- تجب البسملة على المسلم إذا أراد الذبح.

- يسّن للمسلم أن يستفتح فيها كثيراً من العبادات، منها ما يأتي:

1 - الوضوء، والغسل، والتيمّم.